

Received: 3/11/2022

Accepted: 24/1/2023

Postcolonial Palimpsest as Presented in Radwa Ashour's *A Part of Europe*

Milad Darvishi¹, Zohre Naemi², Soudabeh Mozaffari³, Soghra Falahati⁴

Abstract

Postcolonialism, as an approach, examines literary texts from different perspectives some of which are more frequent in academic centers like hegemony, center-periphery, subaltern voice and Orientalism. The components that underpin this approach are considerably divers and dynamic, one of which is palimpsest that can be defined as writing over/on previous writings. Colonizers impose their culture, literature, and language over those of the colonized territories, yet are not able to erase them altogether. Indeed, precolonial cultural products underpin the colonial cultural products. The postcolonial culture of colonized countries is like a container that contains the works of the former natives in addition to the colonial writings. The aim of postcolonial writings, therefore, can be shedding light on these underpinning layers as the cultural identity of indigenous people. This study draws on recent postcolonial approaches, particularly that of Bill Ashcroft, to discover the vanished Egyptian cultural underpinnings in *A Part of Europe* written by Radwa Ashour. The study of palimpsest, an

1. Corresponding Author: Graduate of Arabic Language and Literature, Kharazmi University, Tehran; mld.darvishi@gmail.com
2. Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Kharazmi University, Tehran; naemi.zohreh@khu.ac.ir
3. Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Kharazmi University, Tehran; mozaffari_arabic@yahoo.com
4. Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Kharazmi University, Tehran; falahati@khu.ac.ir



© The Author(s).

Publisher: Faculty of Literature & Humanities, University of Kharazmi and Iranian Association of Arabic Language & Literature.



Kharazmi University

STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY

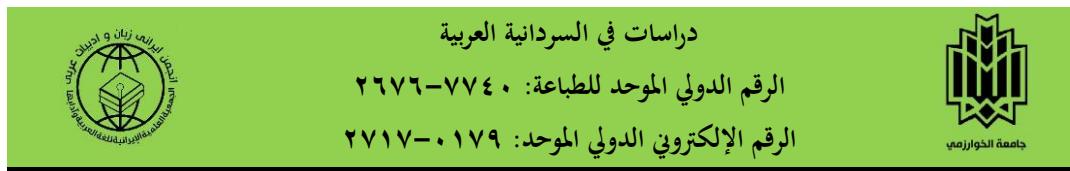


PRINT ISSN: 2676-7740 eISSN:2717-0179

infrequent concept in postcolonial studies paves the way for new critical readings of the novel. It finds that the novel's narrator by addressing the economic, literary and media palimpsests of the colonial discourse that have undermined those of the natives, attempts to reflect native values and warn readers of the colonial discourse hidden in it.

Keywords: post-colonial criticism, palimpsest, Arabic narratology, Radwa Ashour, *A Part of Europe*





دراسة ظاهرة الطرس ما بعد الاستعمار في رواية قطعة من أوروبا لرضاei عاشر



میلاد درویشی^١، زهرا ناعمی^٢، سودابه مظفری^٣، صغیری فلاحتی^٤

الملخص

ترکر مقاربة ما بعد الاستعمار على الأعمال الأدبية ذات الصلة بظاهرة الاستعمار بمختلف مكوناتها، إن بعضها معروف أفضل مما سواه في الوسط الجامعي مثل الميمنة والمركز - الهاشم وصوت المضطهد والاستشراق، لكن المكونات التي تشكل تيار ما بعد الاستعمار متعددة للغاية، ومن هذه المكونات هي الطرس التي تعنى الكتابة على الكتابات السابقة، فالقوى الاستعمارية التي أدخلت ثقافتها وأدبها ولغتها في المستعمرات، تضعها على ثقافة ما قبل استعمار الشعوب الأصلية، غير أنه لا يمكنها القضاء عليها كاملاً، وإن آثار ثقافة ما قبل الاستعمار لها حضورها تحت الطبقات الاستعمارية، إن ثقافة ما بعد الاستعمار للدول المستعمرة تشبه جلداً ينطوي على آثار السكان الأصليين فضلاً عن كتابات الاستعمار المتأخرة. إن هدف أعمال ما بعد الاستعمار يمكن أن يتجلّى في الكشف عن هذه الطبقات الدينية وهي بمثابة سجل ثقافي للسكان الأصليين. إن الدراسة هذه تحاول وباستخدام الأسلوب التحليلي الوصفي ومن خلال توظيف نظريات المفكرين المتأخرین في مجال دراسات ما بعد الاستعمار مثل بيل اسکرافت ان تخرج الطبقات الدينية لثقافة المصريين الأصليين التي تم القضاء عليها وذلك في رواية "قطعة من أوروبا"، لرضاei عاشر وتشيرها اعتمادا على المكونات الأقل معروفة في دراسات ما بعد الاستعمار، حتى تخرج بانطباعات وتحليلات جديدة عن هذه الرواية، ان نتائج هذه الدراسة ولـ جانب خلق فضاء جديد في تحليل ما بعد الاستعمار في الرواية المذكورة أعلاه تبين بـان الرواية وبدراسة الطرس الاقتصادي والأدبي والإعلامي لخطاب

مهمون: ٢٠١١/١١/٢٠

مهمون: ٢٠١١/١٢/٢٠

الدورف و الشاعر (٢٠٠٣-٢٠٠٤)، السنة الرابعة، العدد، ص ٧٣-٨٠

١. الكاتبة المسئولة: طالب الدكتوراه، فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الحوارزمي، طهران، إيران؛ mld.darvishi@gmail.com

٢. أستاذة مساعدة، فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الحوارزمي، طهران، إيران؛ naemi.zohreh@khu.ac.ir

٣. أستاذة مشاركة، فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الحوارزمي، طهران، إيران؛ mozaffari_arabic@yahoo.com

٤. أستاذة مساعدة، فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الحوارزمي، طهران، إيران؛ [alahati@khu.ac.ir](mailto:falahati@khu.ac.ir)



الناشر: جامعة الحوارزمي بالتعاون مع الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها

حقوق التأليف والنشر © المؤلفون





الاستعمار الذي أزال الطبقات الأصلية، تحاول إلى جانب الكشف عن أهدافها الاستعمارية ان تظهر القيم الأصلية والأهداف الحقيقة المختفية وراءها إلى المخاطب وتحذر من الميال المصممة لخطاب الاستعمار.

الكلمات الرئيسية: نقد ما بعد الاستعمار، الطرس، علم الرواية العربي، رضوى عاشور، قطعة من أوروبا.

١. المقدمة

يعد كل من الأدب والرواية -بشكل عام- رسم صورة عن الحياة، باللهمة الملقاة على عانقهما ويحاولان تجلی الأفعال وردود الأفعال في هذا المجال بالحفاظ على القيمة الفنية. من بين الروايات العربية المعاصرة هناك الكثير مما تأثر بدراسات ما بعد الاستعمار. إن رواية "قطعة من أوروبا" لرضوى عاشور من جملة الأعمال التي تطرفت إلى فترة الاستعمار في مصر. من خلال إلقاء نظرة على حياة الكاتبة نعرف بأنها شخصية ملمة بالتيارات المعاصرة وتاريخ بلدها، ودائماً ما تتطرق في كتاباتها إلى الجوانب السياسية والتاريخية للإنسان المعاصر.

ان روايات عاشور هي في الغالب وصف تارخي، تحاول بوعي إعادة بناء الأحداث التاريخية وإظهار الواقع الخفي الكامن في جوفها. إنها تتطرق في رواية قطعة من أوروبا إلى أحداث تاريخ مصر المعاصر بمحورية ثورة ١٩٥٢. ان الرواية مليئة بالأوصاف التاريخية والجغرافية وتسجيل كامل للأحداث، وتحت وصف وجهة الأنبياء وتفاصيلها المعمارية. إنها وفي هذا الكتاب وكما يوحى اسمه، تسلط الضوء على السياسات والأحداث وال العلاقات التي سعت طيلة التاريخ إلى "أوربة" مصر. تحاول عاشور من خلال الاعتماد على إمكانيات الرواية والأدب -على نطاق واسع-، ان تجعل كتابها خالقاً لرواية، تعكس وتحلل واقع العالم المعاصر والبحث عن جذوره في القرون التي خلت. إن هذه الرواية وبتضمنها عنوانين رئيسة لنقد ما بعد الاستعمار تعدد من أكثر الأعمال غناً، كتبت في إطار إعادة إظهار الوضع المعاصر للمجتمع المصري، ومن أهم المكونات الأقل شهرة هي الطرس التي لم تحظ بالاهتمام حتى اليوم، وان شرحها يترك تأثيراً في معرفة هذا الكتاب وفهمه بشكل أفضل.

ضرورة البحث

تتبع ضرورة البحث من كون تاريخ الاستعمار في الشرق -وخاصة الشرق الأوسط- بشكل جوهري مرتبط بحياة الناس. إذ يدفع الإنسان والأدب المعاصر إلى تأمل جوانبه. "فمنذ ان اجتاحت دراسات ما بعد الاستعمار العالم الأكاديمي على غرار عاصفة، قمت البرهنة في نهاية الثمانينيات من القرن العشرين، على أنها من أكثر المجالات تنوعاً وإثارة للمناقشات في الدراسات الأدبية والثقافية، مجالات مليئة بالمناقشات والسجلات الكلامية التي لا نهاية لها". (Ashcroft, 2001: 1). إن القضية الرئيسية لهذه الدراسات هي "ان الامبرialisية الثقافية تركت تأثيراً حاسماً على تكوين هوية الإنسان وأسلوب حياته ومعاشه الثقافي في كافة أنحاء العمورة". (بشيري، ١٣٧٩: ١٣٣). إن النص كونه مجال منهجي متمايز يعد أساساً





مفيدة للتحليل الثقافي، ان النص المتوفر بين أيدينا كونه حركة خطابية، يجرب في فعل الإنتاج فقط. (Ashcroft, 2001: 15-16).

نظرًا إلى ندرة الأبحاث في هذا المجال، فإن القضية الرئيسية لهذه الدراسة هي دراسة موضوع ما بعد الاستعمار بعنوان الطرس الذي ترك تأثيره في تكوين ونضج دلالة الرواية، في مواجهة خطاب الاستعمار الغربي وكذلك في خلق تفاسير ما بعد الاستعمار الحديثة للمواضيع القصصية في هذا الكتاب.

أسئلة البحث

إن المدف الرئيسي لهذا البحث هو قراءة رواية قطعة من أوروبا وإظهار أهداف الراوي الكامنة وراء توظيف الطرس ومعانه المختفية في النص؛ وبغية تحقيق هذا المدف، يزيد الباحث الإجابة عن سؤالين جوهريين: ١-أين تكون الطرس في الرواية المذكورة أعلاه وما هي المستويات التي أخفاه في جوانبه؟ ٢-كيف يفكك تحليل هذا العنصر الطبقات الخفية لأيديولوجيا الاستعمار في سياق ما بعد الاستعمار؟

إن أسلوب البحث هو وصفي-تحليلي يعتمد على وصف الموضع التي يمكن الاعتماد عليها في تحليل مفهوم الطرس، واستخلاص مدلولات جديدة من النص؛ وبغية تحقيق هذا المدف فان الباحث قام بدراسة الأحداث والموضع التي تختليها الشخصيات، ثم يتطرق إلى شرح آراء وتحليل الموضع في ظل دراسات ما بعد الاستعمار بمحورية عنصر الطرس.

خلفية البحث

على الرغم من ان رضوى عاشر تعدد من رواد خطاب ما بعد الاستعمار (الحفناوي، ٢٠١٥ : ٣٣٥) وإنما تحظى بشهرة في الأوساط الجامعية الإيرانية، وقد نشرت العديد من الأبحاث حولها، غير أن دراسة رواية "قطعة من أوروبا" من منظار نقد ما بعد الاستعمار والطرس تعد من القضايا التي قلما حظيت بالاهتمام؛ إليكم بعض تلك الدراسات: طهماسي عظيم (١٣٩٤) في أطروحته للدكتوراه (جامعة أصفهان) التي حملت عنوان مقارنة وتحليل روائي قطعة من أوروبا لرضوى عاشر و "خارطة الحب" لأهداف سويف في ضوء نظرية ما بعد الاستعمار؛ حاول من خلال دراسة قضية الاستعمار وما بعد الاستعمار في الكتابين المذكورين، إلقاء الضوء على وظيفة التاريخ والقضايا السياسية والاجتماعية في الروايتين وكذلك من خلال تحليل النصوص تطرق إلى موقف الكتاب فيما يتعلق باختيارات تاريخية تتجاوز مستوى القصص، كما قام بتقدير اهتمامهما بقضايا مثل الأنماط والآخر والمقاربة الفيمينية وغيرها من القضايا.

تطرق صفرى، فريدو (١٣٩٥) في أطروحته بعنوان "تحليل عناصر القصة في رواية قطعة من أوروبا" إلى عناصر القصة ومنها الحبكة وزاوية الرؤية والزمن والمكان وغيرها من القضايا، ويبين الباحث في نتائج بحثه بان الشخصيات حقيقة





وليست خيالية، وان حبكة الرواية مغلقة، وزاوية الرؤية هي الغائب أو العالم الملم بالقضايا، وان "القاهرة" هو مشهد القصة؛ كونها المكان الرئيس؛ يرى الباحث بان هذه الرواية واقعية وتتضمن أساليب مثل الاسترجاع، وان فحوى القصة تاريخي وسياسي.

قامت عباسى نسرين (١٣٩٦) في أطروحتها للدكتوراه التي حملت عنوان "دراسة وتحليل رواية الطنطورية لرضوى عاشور على أساس نظرية السرد لجرار جينيت" في جامعة بوعلي سيفا في همدان، بدراسة هذا الكتاب من خلال توظيف نظريات جينيت في مجال السرديةات أو علم السرد. إنما تطرقت في المقال المستل من الرسالة وبعنوان "دراسة وتحليل البؤر في رواية الطنطورية لرضوى عاشور" إلى أنواع البؤر الثابتة والمتغيرة والمتعلقة.

هذا وتطرقت حيدري راد، سميرًا (١٣٩٦) في أطروحتها بعنوان شخصية المرأة في أعمال رضوى عاشور (دراسة حالة: الطنطورية، أثقل من رضوى والصرخة) إلى سمات شخصية المرأة في رواياتها، واعتمادا منها على نظريات غایاتري اسبيفاك وادوارد سعيد سلطت حيدري راد الضوء على تحليل شخصية المرأة في الهاشم كما تظهر في تلك الروايات.

نشر السباعي رضوان، إسلام محمد (٢٠١٨) مقالة بعنوان جمالية المفارقة في رواية قطعة من أوروبا في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة قنادة السويس، إذ يرى بان التناقض في تكوين الرواية والمفاهيم التي ترکز عليها عاشور مهم جدا، ويرى بأنه في كل عناصر الرواية تم استخدام الشخصيات والأساطير واللغة الرسمية -أوحياناً العامية-، وان عاشور بحذا تحاول رسم صورة عن تناقضات التاريخ المصري المعاصر حتى تجذب عن سؤالها المحوري وهو كيف وصلنا إلى ما نحن عليه الآن؟

قام بركات احمد (٢٠١٨) في رسالته للماجستير التي حملت عنوان "البنية السردية في رواية قطعة من أوروبا لرضوى عاشور" بدراسة كتاب عاشور من منظار السرديةات.

تطرق جراد خلود إبراهيم عبد الله (٢٠١٨) في رسالة ماجستير (٢٠١٨) بعنوان "تطور البناء الدرامي التاريخي في روايات رضوى عاشور، في جامعة الشرق الأوسط، إلى تحليل تاريخي لخمسة أعمال لرضوى عاشور ومنها قطعة من أوروبا. وظفت بور قاسم مريم (١٤٠٠) في رسالتها للماجستير بعنوان "دراسة وتحليل رواية ثلاثة غرناطة لرضوى عاشور، من منظار ما بعد الاستعمار"، في جامعة ولی العصر في مدينة رفسنجان؛ وظفت نظريات ادوارد سعيد هومي بابا^٣ وغایاتري اسبيفاك لتقديم نقد مظاهر ما بعد الاستعمار.

٢. نظرة على حياة رضوى عاشور

توجهت رضوى عاشور (٢٠١٤-١٩٤٦) في عام ١٩٧٣ لإكمال دراستها في مرحلة الدكتوراه وكتابه أطروحتها في مجال الأدب الإفريقي-الأمريكي إلى جامعة ماساتشوستس الأمريكية (عاشور، ٧:١٩٨٣). وهناك اقترح أحد مديري الجامعة إليها بان تشارك في دورة الأدب الإفريقي طيلة الفصل الدراسي، حتى تستفيد من محاضرات تشنينوا أتشيني^٤ في الجامعة.





(المصدر نفسه: ١١). ان استفادتها من محاضرات واحد من أكبر الكتاب والمفكرين ما بعد الاستعمار تعد من القضايا التي يجب التركيز عليها في دراسة حياتها.

تقول عن تجربة كتابتها: أنا امرأة عربية ومواطنة من العالم الثالث، وتراثي في الحالتين تراث الموعودة، فاكتب دفاعاً عن نفسي ودفاعاً عن الآخرين الكثر الذين أقوم بتمثيلهم وأولئك الذين مثلي أعي هذه الحقيقة حتى العظم، وأخافها إلى حد الكتابة عن نفسي وعن آخرين أشعر أنني مثلهم أو أنهم مثلي. (عاشر، ١٣٨٦: ٢٥٥).

من الأعمال المهمة التي تبرهن على اهتمامها بأدب ما بعد الاستعمار وتأثيرها بهذه المقاربة، يمكن الإشارة إلى "لكل المقهورين أجنة" (٢٠١٩) والتاج ينهض (٢٠١٦).

إنما وبعد خضوعها عدة عمليات جراحية على دماغها في أعوام ٢٠١٠ حتى ٢٠١٣ توفيت في عام ٢٠١٤ في مصر. (عاشر، ٢٠١٥: ٦-٥).

٣. الأدب النظري للبحث: دراسات ما بعد الاستعمار

يصعب تقديم تعريف دقيق لمصطلح ما بعد الاستعمار بشكل عام، ذلك لأنه "ينطوي على مجالات من النظرية والفقد الأدبي حتى الدراسات الاقتصادية والسياسية والحكومات الاستعمارية وقضية الهوية والدراسات الثقافية". (ماك لين، ٤٧: ١٣٨١).

لكن ما هو مثبت فان القوى الاستعمارية تقوم بإعادة تعريف مستعمراتها وفقاً لنظامها المعرفي وأهدافها الاستعمارية، ولهذا فإنه يتم تقديم المستعمرين بأقاب مثل غير الحداثيين وغير الديمقراطيين والبرابرة والصفات المتباعدة للقيم الاجتماعية الغربية، حتى تبرر استعمارها واحتلالها لتلك الدول بذرية المخافة ونشر الصحة والتعليم. (عطيه، ٢٠١٨: ١٦٨). على هذا فان عقلية المستعمر تتكون في قالب لغة وديانة وثقافة السيد الأبيض، إذ يتم القضاء على الشعور باتساع الفرد إلى ثقافته المحلية شيئاً فشيئاً. (Nayar، ٢٠١٥: ٨٧).

ان المستعمرين ينظرون بنظرة واحدة عند دراسة تاريخ الشعوب المتختلفة، وهذا يبين تأثير سلطتهم وخطابهم الاستشرافي، إذ تبني دراسات ما بعد الاستعمار إزالة هذه الأفكار والقضاء عليها. (تيموسكو، ٢٠١٠: ٢٩).

ان نظرية ما بعد الاستعمار "تقوم بدراسة وتطوير افتراضات حول التأثير الثقافي والسياسي لسيطرة المجتمعات التي استعمرتها أوروبا وطبيعة ردود فعل تلك المجتمعات، فان مفهوم "ما بعد" في هذا المصطلح يشير إلى "بعد بدء الاستعمار" بدلاً من "بعد نهاية الاستعمار"، ذلك ان الصراعات الثقافية بين المجتمعات الإمبراطورية والخاضعة للسلطة مستمرة إلى يومنا هذا". (Ashcroft and Ahluwalia، 2001: 15).

يمكن عد المعنى الحقيقي لمصطلح "ما بعد الاستعمار" بأنه تكوين وإعداد فكرة وإستراتيجية قائمة في المستعمرات





والحاضر، التي فيما بعد تم توظيفها للدلالة على التجربة السياسية واللغوية والثقافية ل المجتمعات كانت مستعمرات الأوربيين سابقا. (Ashcroft & others. ٢٠٠٧: ١٦٨).

في الحقيقة ان كتاب ما بعد الاستعمار يرسمون صورة عن كيفية سيطرة الاستعمار على ثقافة المستعمرات ومقاومة تلك الثقافة في مواجهة السلطة. ولما كانت تجربة معرفة الدول العربية مع الحضارة الغربية قد جاءت عن طريق الاستعمار، فان رد الفعل تجاه الغرب قد شكلت موضوعاً لأعمال الكثير من المفكرين والأدباء العرب. وبشكل عام يمكن تقسيم خطاب ما بعد الاستعمار على انه يسعى إلى دراسة وإعادة بناء الخطابات والأسس المهيمنة التي ألقت بظلالها على العالم الشرقي من خلال هيمنة الغرب.

٣. ١. الطرس

ان الطرس Palimpsest أو الكتابة على الكتابات السابقة، تعد من خدع الاستعمار الذي يحاول تغيير ثقافة ما بعد الاستعمار أو محوها من الوجود ويطلق بنفسه اسماً على تلك الثقافة، ان الطرس يشير إلى ورقة من الجلد التي تحمل في طياتها أثر الكتابات السابقة المنسوحة في خلفيات الكتابات الجديدة. (اسكرافت وآخرون، ١٤٠١: ٢٤٦). "ان الكشف عن هذه السمات المتبقية من الماضي، شكل جزءاً مهماً من معرفة طبيعة العصر الراهن" (المصدر نفسه). ان ثقافة ما قبل الاستعمار التي كانت في جلها ثقافة شفهية، والتي تصنفي على النص قيمة كبيرة بواسطة نصية الاستعمار، تتراجع وتتصبح في الجانب المظلم. على هذا، فان كتاب ما بعد الاستعمار يحاولون إدخال الثقافة الشفوية المحلية في الصوص وبحذا يتسبيبون في بث روح جديدة فيها وإبعادها عن الأضرار الناجمة عن سيطرة الاستعمار المحددة بشدة.

في الواقع، إن الاستعمار وعبر كتابة معلوماته على الكتابات السابقة مثل "رسم الخارطة، والتسمية والسرد القصصي وغير القصصي، يخلق مجموعة متعددة وملينة بالصراعات". (المصدر نفسه). إن الاستعمار وبحذا الطريق يمكنه توفير المال في المستعمرة لبسط سيطرة أكثر من ذي قبل. "ان الجانب الأكثر مثاراً للتحدي من هذه النظرية، هو ان الموضوع الاجتماعي المعتمد عندما ينظر إلى البيئة المحيطة به، لا يمكنه استيعاب ظواهرها بسهولة كونها معطيات مرئية أصلية، وبدلاً من هذا يتموضع في أفق ثقافي مع ذلك المكان: يعني ان هذا المكان القابل للمشاهدة يعد طرساً ثقافياً صنع خلال قرون ويخفظ آثار الموجس والكتابات السابقة ومنها تأثير المترج الذي تم رسمه من خلال فعل "المشاهدة". (المصدر نفسه: ٢٤٧). على هذا فان الموضوع الاجتماعي المعتمد أو الإنسان المحلي يعيد هويته في هذا الأفق الثقافي القابل للمشاهدة الذي رسمه متدرج مستعمر.

ومن هنا فان المستعمر يمكنه "منع عودة ظهور صورة مقومة حصرية ووحيدة لعرق أو ثقافة أصلية" (المصدر نفسه). وبحذا أصبح بإمكان المستعمرين محو البنية السابقة لهذه الأرضي و"إظهارها كونها فضاءات خالية ونقية كانت مستعدة للتلقي كتابة" (المصدر نفسه، ٢٤٨). ان "خطابات ما بعد الاستعمار جلها تسعى لإعادة "كتابه" و"قراءة" أراضي قام



المستعمر بمحوها". (المصدر نفسه).

٤. القسم التطبيقي: خطاب ما بعد الاستعمار في رواية قطعة من أوروبا

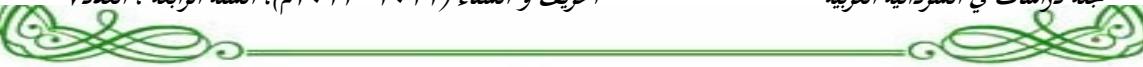
ان نظرية ما بعد الاستعمار هي وليدة الدراسات الأدبية ثم اتسعت نطاقاً إلى مجالات أخرى مثل السياسية والاقتصاد وغيرها، إنّ الأعمال الأدبية في فترة ما بعد الاستعمار تتطرق بشكل واسع النطاق إلى أسس الاستعمار وتأثيره في الشرق وتحاول الكشف عن أعمال المستعمر في تلك الرقعة الجغرافية التي ليس من الواضح تأثيرها الشامل على الأطر الإدراكية للشعوب المعاصرة". (اسكرافت وآخرون، ١٣٩٢: ١٨). إنّ خطاب ما بعد الاستعمار عبر إعادة قراءة التاريخ المعاصر للشعوب وتحديد فوارقه عن الاستعمار وتأكيده عليه، يحاول فضح الفضاء المرسخ هذا. ان "مفهوم الطرس هو أسلوب مفید لمعرفة التعقيدات النامية لثقافة ما. (اسكرافت وآخرون، ١٤٠١: ٢٤٨). ويساعد على إعادة بناء وقراءة كتابات وأثار سابقة للثقافة المحلية.

٤ . ١. الطرس الاقتصادي والبني التحتية

ان المستعمر وبغية بلوغ أهدافه ينشط في أجزاء مختلفة ومنها الاقتصاد المحلي وبناء التحتية. يشكل المستعمر مشاريعه ويسعها على البنية الاقتصادية والبني التحتية المحلية، حتى يوجه مخرجات هذا الجزء نحوه. ان راوي القصة هو رجل متلاعِد ويروي ماضيه وماضي بلده، ويشير كثيراً إلى قضية الطرس ونشر البنية التحتية والقيم الاقتصادية الغربية في المجتمع المصري، وعبر هذا التمثيل يحاول تفكيك وفضح الأهداف الاستعمارية والحد منها، ان قوى الاستعمار وعبر الإقامة وممارسة التفود على الحكم المحليين، تحاول ان تبدل الفضاءات الموجودة في مصر إلى فرص وأمكانية لتطبيق مشاريعها الاقتصادية، وتنفيذ هذه المشاريع والبني التحتية في الأراضي المصرية، ان محمد علي باشا (فترة حكمه: ١٨٤٨-١٨٥٥) يشكل دورات تمهيدية للشعب حتى يشاهدو الدمار ويقبلونه، ويعدونه سبباً لسعادة أنفسهم ووطنهم:

«فأعطي الأهالي ما يمكن أن نسميه بلغتنا الحالية دورة تمهيدية تعدّهم لمشاهد تدمير المباني الأثرية لفتح سكة جديدة، أقصد مشهد المعاول والمهدّات والجرافات وهي تقتلع بيوتاً ومساجد وأسبلة وأشجاراً وأبواباً ومشربيات، وقبوراً أيضاً» (عاشر، ٢٠٠٣: ١٣). في الواقع فان راوي القصة يظهر بأنه كيف تمر الأراضي المصرية بمرحلة التنظيف على غرار جلد، حتى تستعد لتلقي البنية الجديدة.

ثم يرسم المراقب مصر وشوارعها وكيف تحولت إلى أجزاء من أوروبا: هنا كانت الأوبر، قطعة كاملة من أوروبا. صممها فاشيوي وروسي على طراز لا سكالا في ميلانو... هناك كان فندق شبرد، قطعة صغيرة من إنجلترا، كأنه الفنصلية البريطانية» (المصدر نفسه: ٤٩) وكذلك يتحدث عن انتشار صحف الإنجليزية في مصر، إذ كيف تساعد على بناء خطاب



الاستعمار وتطوير أهدافه الاستغلالية المهيمنة: «أهم شخصية في القاهرة هي كوك! هذا ما كتبه جريدة فانتي فير عام ١٨٨٩» (المصدر نفسه: ٥٠). هذه الصحيفة (فانتي فير) ترى ان جون ميسون كوك وهو مدير مؤسسة سياحية، أبرز شخصية في القاهرة، شخص يقوم وحكومته بهب القطع الأثرية التاريخية الشهينة، ويأتي رسماً لصورته على هذا النحو حتى قبل المخاطب المصري بان مصالح حكومة بريطانيا الاستعمارية ومصالحه مشتركة، لكن المراقب يكتشف عن الحقيقة من خلال سرده لحقائق كامنة وراءها:

«مكتب توماس كوك وابنه ينظم رحلات الإنجليز إلى صعيد مصر. مراكبه أيضاً قطعة من أوروبا ساجحة باسم الله في النيل: الطعام إنجليزي، مستوى الخدمة، لغة حديث. جون ميسون كوك، ابن توماس كوك، طويل عريض قوي البنية- أتخيله في حجم روتشفيلد بلفور، لكن روتشفيلد كان يغوي جمع الفراش والتاريخ الطبيعي، وجون ميسون كوك كان حاد المزاج يشرف على كل شيء، يمسك النيل وأرواح العاملين معه في قبضته. يقال: أمسك بتلابيب ترجمان لم يتحدث معه بما يراه لائقاً وألقى به في النهر» (المصدر نفسه: ٥٠).

ان المراقب في أجزاء أخرى من روايته يكشف عن استخدامات أخرى لاحتكار السياحة في مصر لعناصر الاستعمار وكيف يقوم عبر شركات السياحة بتفجيرات على يد عملاء الموساد في مصر والعراق لإخافة اليهود في تلك المناطق بحيث يقومون بالسفر إلى إسرائيل عبر تلك الشركات. (المصدر نفسه: ١٧٦).

فضلاً عن المراكز الاقتصادية والثقافية فإن الأبنية وحتى المطاعم المزدحمة التي تقدم أفضل الأطعمة تعود ملكيتها إلى الأجانب وملوكها هم من إيطاليا وسويسرا، والملفت هو ان هذه الأماكن لم تعد مكاناً لبيع الحلويات والطعام فحسب، بل إنما مراكز لنشر الثقافة الغربية، وتنام فيها جلسات لعزف الموسيقى وبيث الأفلام السينمائية الغربية والاحتفالات بالأسلوب الغربي إلى جانب الرقص، ان المراقب يدخل في الرواية أسماء الحلويات والأطعمة كما كانت منتشرة بين الناس. (المصدر نفسه: ٦٩). انه وبعد الحديث عن الحالات تلك، يوضح أهدافها الضمنية، والتي يتمثل المدف الرئيسي في نهب الأراضي الزراعية في مصر بواسطة الآليات الحديثة واستغلال المصانع والمواشي والمزارعين والعمال المصريين بأقل التكاليف.

«أنواع من الحلوي... جديدة في أشكالها، غريبة في أسمائها: كريم شانتي، مارون جلاسيه، جيلاتي، ميل فوي، إكلير، بول دي شوكولا... كان مشروع... يتجاوز فكرة خباز ماهر يعاونه ابنه إلى استثمار كبير يعتمد الزراعة والتكنولوجيا الحديثة... فيها الحقول والمعامل والماشية والفالحين والعمال» (المصدر نفسه: ٦٩).

ان المراقب يسلط الضوء على كل جوانب المهيمنة الاستعمارية الملفتة للنظر عبر ملكية الامتيازات الاقتصادية الشاملة، ويعدها بالمهمة للأرضية في مجال التوغل في كل الهياكل الاقتصادية، بحيث يصبح بان والده كان يعمل في بنك لم يكن يعرف مؤسسه الرئيس، ويبين كيف تحول هذا المصرف إلى جزء من هويته وهوية كل الأسرة:

«لا أظن أني سمعت اسم كاسيل يرد على لسان أبي رغم أنه مؤسس البنك الذي يعمل فيه. ولم يكن البنك الأهلي بالنسبة لنا مجرد مكان لعمل رب الأسرة يعني الواحد منا حين يجيب عن السؤال: "ما شغل والدك؟" بل تتردد في بيتنا





كلمة "البنك" ، معرفة وألية وطا رنين خاص، تكاد تكون متداولة لأبي وجزءاً وبالتالي من هويتنا، أو كان عمل أبي في البنك سحب الأسرة كلها إليه لتصبح فرعاً من فروعه. نقل إلينا أبي شعوره بقيمة البنك واعتزازه بالعمل فيه» (المصدر نفسه: ٥٥-٥٦).

ان مؤسس المصرف هو ارنست كاسيل يهودي ألماني كانت تجمعه علاقات واسعة النطاق بتجار يهود أوروبيين، مثل موريس دي هيرش المليونير اليهودي الذي أسس مؤسسة يهودية لاستعمار فلسطين. (المصدر نفسه: ٥٤). انه وعبر بناء الصداقة وال العلاقات المالية القوية بـ *Comprador*^٥ أو الرجال السياسيين المصريين التابعين للغرب منهم عباس حلمي الثاني (المصدر نفسه: ٥٥) يروج أهدافه الاستعمارية في غطاء السلطة. انه استطاع ان يعمل بمهارة إذ خدع والد الرواذي وهو مصري قومي ومتغصب، لدرجة لم يكن يعرف بان الرواذي يقول غير متيقن بان والده إما لم يكن يعرف أم انه لم يكن يريده بان يقول لابنه البالغ من العمر خمس سنوات (المصدر نفسه: ٥٦-٥٨) بان الاقتصاد المصري يديره الاستعمار والأجانب: «لم يقل لي أبي ذلك اليوم أن أوراق النقد التي يصدرها البنك كانت تطبع في بريطانيا لدى شركة برادبرى ويلكسون وشركاه في مطابعها بمقاطعة ساري، ولم يشر لكاسيل ولا للإخوان سوارس والعائلات اليهودية الأخرى التي تملك البنك» (المصدر نفسه).

يمكن من خلال تحليل سرد المراقب لحياته العثور على رفض مشاريع ذكية لهيمنة الاستعمار إذ تنتهي إلى السيطرة على الاقتصاد المصري وتحت تأثيرها على هوية سكان مصر الأصليين، وينجح في وضع شفراته على ما حدث في الماضي: «والإخوة سوارس، والإخوة شيكوريل والإخوة قطاوي وغيرهم من العائلات اليهودية المتنفذة في مصر: موصري ورولو وليفي ومزراحي، هل هذا ما أريد أن أحكي عنه؟ أفضلي فيما كانت تمتلكه من بنوك وشركات: البنك الأهلي، وبنك الرهونات، والبنك العقاري المصري، والبنك التجاري المصري، والبنك الزراعي المصري، وخط سكة حديد حلوان، وخط سكة حديد الدلتا، وشركة مصر الزراعية، وشركة مياه طنطا، وشركة وادي كوم أبو واما تملكه من آلاف الأفدنة المزروعة بقصب السكر ومعامل التكثير التابعة لها، فضلاً عن أغلب المتاجر الكبيرة في البلد. ليس هؤلاء أبناء حارات اليهود، المحليين الذين لا يعرفون سوى العربية. هؤلاء جاءوا مع موج البحر، حملهم الموج من شاطئ إلى شاطئ ليسكروا قصوراً، ويتذدوا على قصور، ويحضروا الحفلات الراقصة في بيت اللورد، أو ليسكروا دوراً متواضعة فقيرة، لأنهم عمال، لأنهم مهاجرون، وفي الحالين يتحدثون الإيطالية والفرنسية واللادينو أو الروسية والألمانية واليידиш فترفعهم اللغة وأصولهم فوق المحليين من أهل البلد (بما فيهم يهود المخارة) وتربطهم بأسيادها الأجانب» (المصدر نفسه: ٥٨).

في الجزء أعلاه يمكن العثور على قضية مهمة للغاية في شعور الرواذي تجاه المهاجرين الأثرياء منهم والفقرا، وكيف يؤدي تبعية هؤلاء المهاجرين للثقافة واللغات الأوروبية إلى تفوقهم على السكان الأصليين العرب واليهود وغيرهم؛ في الواقع يظهر الرواذي دور الاستعمار وكيف عبر الغزو والتجارة تهيمن أنظمة قيم أوروبا ذاتياً وموروثاً على العناصر الأصلية. (اسكريافت



وآخرون، ١٤٠١: ١٣٦).

بعد التطرق إلى هذا الجزء وتفوق اللغة والثقافة الأوروبية يقوم الرواية بالبحث عن الجنور، ويعود إلى القرن الثامن عشر، حيث كان يحكم والد محمد علي باشا-حاكم مصر في القرن التاسع عشر، إذ حكم آباء مصر ما يقارب قرن ونصف القرن أي من ١٨٥٠ حتى ١٩٥٢ -الذي جاء بصفته لاجئ من مدينة كاوala (بالعربية: قوله والإنجليزية Kavala) وبعدما يعتلي ابنه السلطة، يحاول تقليدا من أوروبا وخاصة باريس ان يدخل مصر في الحادثة، إذ يتدفق المهاجرون وخاصة اليهود في هذه الفترة والفترات اللاحقة إلى مصر. (عاشر، ٢٠٠٣: ٥٨).

ثم يقوم الرواية بربط هذه الحادثة بإصدار وعد بلفور وحركة اليهود المهاجرين لإقامة دولة مستقلة وتولي أغلبية مناصب مصر رفيعة المستوى (المصدر نفسه، ٦١-٥٨) ان كل هذه القضايا تتم عبر بناء العلاقات الودية والسلطوية بين قادة مصر وقادة الاستعمار، ويصف الرواية الاحتفالات التي يقيمها اليهود في مصر وكيف تتم دعوة عزيز مصر حتى يزید الاحتفالات بحاجة و يجعلها مباركة (المصدر نفسه، ٦٢). تنتهي كل هذه البرامج بالأسماء التي وردت في صفحة ٥٨ من الرواية، وان الرواية بهذا يجد أساساً مركبة الأسماء غير الأصلية في الأحداث التاريخية التي استطاعت بناء أساسها على صرح روح مصر. (المصدر نفسه: ٦٥).

ثم وبالإشارة إلى الأنشطة الثقافية ودعابة الكيان الصهيوني واسعة النطاق بين الشعب المصري، يتطرق الرواية إلى وصف الرسائل ونشر الكراسات العديدة والدراسة المجانية في المدارس التي تروج الفكر الصهيوني، وفضلاً عن هذه القضايا ان التركيز على نشر الرسائل يحظى باهتمام كبير إذ تعود إلى نهاية القرن التاسع عشر والستينات التي سبقت الحرب العالمية الأولى، إذ يبحث الرواية عن جذور نشر الفكر الصهيوني ويظهر بان أحاديث ١٩٤٨ المأساوية وبعدها تضرب جذورها في ماضي الاستعمار والدعابة واسعة النطاق للصهاينة التي تمتد إلى قرن من الزمن:

«قمنا من ناحيتنا بطبع ٣٠٠٠ كراسة باللغة العربية وزعندها من يد ليد بين اليهود المحليين. كذلك ازداد عدد أعضاء جمعيتنا إلى ١٥٠ عضواً بينما لم يكونوا في يونيو الماضي سوى سبعين... الصهاينة في مصر كانوا يأملون أن يجعلوا من مصر مركزاً لنشر وتوزيع الكتابات الداعية للصهيونية» (المصدر نفسه: ١٣٣).

في الاتجاه الثاني من الخطاب الذي تكون على يد المستعمرين والمخاتلين تكشف كاتبة الرواية بعد التطرق إلى ما قام به الصهاينة سابقاً في نشر مجلاتهم وأفكارها مجانياً، عن صورة الصهيونية وأهدافها المشعومة في الصفحات التالية (١٣٧) (١٣٨) كما تكشف عن أساس فكرتها ألا وهي احتلال واستغلال بعض دول منطقة الشرق الأوسط، ثم ومن دون الاهتمام بالطموح أو الحديث بكلام مبطن تشبه كل عملية الاستعمار والاستغلال بمحجوم الجنادب على ارض خضراء في مزرعة ما، إذ تقوم بهذا العمل منذ مئات السنين وستقوم بما مستقبلاً، ثم لا ترى هذا التشبيه مناسباً ذلك انه لا جندي يقوم بتغيير خارطة الدول و يؤسس الدول-تشير إلى تأسيس دولة إسرائيل-ويدمى تاريخ الشعوب إذ يمتص روحها، كامتصاص النفط من جوف الأرض. (المصدر نفسه: ١٦٧).



من المكونات المهمة والمسهلة للاستعمار هي الهيمنة والنفوذ وخلق الطرس حتى يتمكن من تخيد الأعضاء من بين ضحايا الاستعمار من خلال خلق أرضيات أدبية وثقافية، ووضع قناع مناسب على وجه الاستعمار والاستغلال. في الواقع فإن المراقب ومن خلال هذا العمل يكشف عن الطبقات الحقيقية لنشر هيمنة الاستعمار وكذلك بياناته الأساسية.

٤ . ٢. الطرس الأدبي

ان الأدب والأعمال الأدبية المهمة تعد من أهم مبررات عملية الاستعمار للسكان الأصليين، إذ " لا يتضح تأثيره الشامل على الإطار الإدراكي للناس المعاصرين، ان الأدب يعبر عن إحدى أهم الأساليب التي يتم التعبير عن الأفكار الجديدة من خلالها". (اسكرافت وآخرون، ١٣٩٢: ١٨).

يتجه المراقب نحو النصوص الأدبية في الكثير من الأحيان وفي عمل ثانٍ يضع الأعمال الشرقية بوجه بعضها البعض، على سبيل المثال في الفصل الثاني عشر من الرواية، انه يبدأ الكتابة بمصرع من شعر تي اس اليوت، إذ لا يذكر اسم هذا الشاعر الشهير أو لم ينوي ذكره، "من القائل: على ضفاف ليمان جلست وبكيت؟" By the waters of Leman I sat down and wept حاولت أن أتذكر، لم تسعفي الذاكرة. لم يتع لي أن أقرفص أو أترفع مباشرة عند الماء، لم يعد ذلك متاحا في القاهرة» (المصدر نفسه: ١٢٨).

في الصفحات التالية يكتب عن أسباب بكائه على ضفاف النيل، ويكتب عن رجل يدعى ماركتو باروخ الذي يشكل في مصر ثلث جمعيات صهيونية للأعمال الدعائية والهيمنة. (المصدر نفسه: ١٣٠). ويتطور من خلال كسب الدعم المالي والثقافي (المصدر نفسه: ١٣٢) من الدول الأخرى والشخصيات الشهيرة التابعة للاستعمار في مصر، منهم هيرتلن وسواريز الذي يظهر أثره في كل المشاريع الاستغلالية في مصر (المصدر نفسه: ١٣١). مع هذا فان عباس حلمي باشا الثاني يمجده (المصدر نفسه: ١٣٤). إنهم وفضلا عن إنشاء المدارس ونشر الكراسات العديدة بين المصريين، واخذ ثلاثة ألف هكتار من الأراضي في سينا من الحكومة المصرية بعام ١٩٠٣ (المصدر نفسه: ١٣٣) يبلغون درجة يجعلون مصر قاعدة لنشر الأفكار الصهيونية من الجزائر حتى الشرق البعيد (المصدر نفسه). هنا يجد المراقب بان قطع أحجية تأسيس الحكومة الصهيونية مكتملة، وفي نهاية المطاف يشير إلى مقابلة لشخص يسمى "كردي" نشرت في صحيفة "يديعوت احرنوت" الصهيونية بعام ٢٠٠٢ التي كانت مهينة للغاية ومعادية للإنسانية، يتحدث فيها عن جرائمهم عند بناء المستوطنات الصهيونية وتدمير بيوت سكان فلسطين الأصليين. (المصدر نفسه: ١٤٠-١٣٤).

ان المراقب وبعمله هذا يرسم مشهدًا مؤلمًا من دراما تأسيس الحكومة الصهيونية التي بدأت من الأراضي المصرية بنشر عقائدها، ويعيها على بحيرة ليمان التي بكى عليها اليوت، ويذكر على تل من خرابات ناجمة عن تخرّب بيوت





الفلسطينيين وبين كيف ينتهي الاستعمار إلى المجهول وارض تسمى "الموت" للسكان الأصليين. وعلى هذا يشير إلى منظومة البوت The Waste land بالكتابية التي أوردها في مصروع في مستهل الفصل.

كما يقوم المراقب في الفصل الثالث عشر بنفس العمل، ويشبهه أولاً حياته في سن الخامسة والستين بمسرحية ويسيه نفسه بملك لير -شخصية مسرحية شكسبير الشهيرة (المصدر نفسه: ١٤٢). ثم يجد أن شكل المسرحية يعني من تحديات وعراقيل، كانت منذ زمن أرسطو -وحدة الحدث والزمان والمكان -وبالتالي، فإن هذا الشكل الأوروبي لا يملك القدرة على نقل الأحداث والعواصف التي جرت عليه ويقرر عدم الكتابة على طريقة شكسبير واستخدام طريقة الخاصة التي لا يدركها بالضبط (المصدر نفسه). في هذا القسم يقصد المراقب من العواصف، التواريخ التي بلغت فيها الحروب والقتل إلى أعلى مستوىاتها في منطقة معيشته، وفي الحقيقة يرى أنها من نتائج الاستعمار الذكي الذي بدأ من القرن التاسع عشر في مصر، ويسعى للكشف عن كتابات وأهداف الاستعمار السابقة. أثناء كتابته عن المجازر الجماعية التي حدثت في بحر البقر وشاتيلا والعامرة وقانا وجني، يقول المراقب لشكسبير وملك مسرحيته لير، هل أنت مستعدون لمقايضة حياتكم مع؟ أنت لا تعرفون شيئاً عن الألم ولن أعطيكم وهذه القصة وهذه الحياة (المصدر نفسه: ١٤٤).

ثم يقلل المراقب قصة حياة الشاب الفلسطيني فارس عودة الذي قتل عام ٢٠٠٠ بنيران الدبابة (المصدر نفسه: ١٤٥-١٥٢) ويجعله الشخص الأول في مسرحيته، ويضعه محل ملك لير شكسبير ذلك أنه اعرف بالألم والبطولات.

يواصل المراقب السير على هذا الأسلوب وفي الفصل الرابع عشر يعود إلى القرن الثامن عشر حيث تحصل عائلة روتشيلد Rothschild الداعمة الكبيرة مالياً لتأسيس الصهيونية (المصدر نفسه: ١٥٧) على الثروة، ويقارن في عبارة ملفقة ومليلة بالكتابية روتشيلد بعوته Goethe الذي يكبره بست سنوات فقط (المصدر نفسه: ٤) ورابينسون كروزه (المصدر نفسه: ١٥٥)؛ لكن هذه المقارنة لم تأت عشوائياً، بل إن المراقب يقوم بالبحث في الأدب الأوروبي ومسار تطور عائلة روتشيلد ويصل إلى هذه القضية بان هذا الأدب يقدم ادموند روتشيلد-أصغر أبناء جيمز روتشيلد وحفيد امشل ماير روتشيلد المعاصر لغوطته-كونه أكبر فاعل خير الذي قام بعمان فلسطين⁶ وتأسيس الجمعيات والماركز العلمية في باريس ولندن، وقام بجمع رسوم ثمينة لرسامي القرن السابع عشر والثامن عشر. (المصدر نفسه: ١٥٧).

لكن في الجانب الآخر فإن المراقب يستفيد لوصف روتشيلد من مفردة الشاطر (المصدر نفسه: ١٥٦) وهي تحمل معنيين متناقضين أي الشاطر في الفصحى والمخادع في الدارجة. كما يضفي تشبيه هذه الأسرة بأسرة كروزه مفهوماً ما بعد استعماري ملفت للاهتمام على النص، ذلك أن قضية أسرة كروزه التي ألفها دانيال دفو⁷ "كانت جزءاً من عملية تعزيز العلاقات بين أوروبا والآخرين" (اسكرافت وآخرون: ١٤٠٠: ٢٤٥). في الواقع فإن المراقب ومن خلال خلق فضاء يوجد فيه شكسبير وDaniyal Dovo والبوت معاً، يظهر خطاب الاستعمار الكبير والاستفادة منه في الأدب، وينخرج منه قصة معاناة السكان العرب الأصليين.

تقول الرواية بعد نقل هذا الجزء بان هدفها ليس كسب تعاطف المخاطب وإثارة شفقته، بل إنها تريد السرد بمحبي من





العدالة والدقة، وتشير إلى بيت شعر من أبي العلاء المعري: غير مجد في مليٰ واعتقادي/نوح باك ولا ترم شاد (المصدر نفسه: ١٦٩). وفي الواقع بهذا البيت توجه انتباه المخاطب إلى جذورها الأصلية والثقافية العميقية، وتخلق حالة من السخرية من خلال الإشارة إلى مفهوم هذا البيت الذي يتداعى ما بعده إلى الذهن، إنما إذ تقول بأن الهدف ليس كسب التعاطف، وتنكره كرثاء للقاهرة. وغير الإشارة إلى هذا البيت تكتبه على الشعر الذي نقلته من تي اس اليوت (المصدر نفسه: ١٢٨). وثم تطرق إلى الأحداث التي تلت ثورة ١٩٢٥ وكيف هاجم الناس هذه المراكز الاقتصادية والثقافية الغربية وحطموها (المصدر نفسه: ١٧٠-١٧٢) وتحول ما ورد في الروايات وذكريات السياح الغربيين وسير حياة كبار الموظفين في الدائرة البريطانية في مصر، إلى كومة من الأنقاض. (المصدر نفسه: ١٧٣).

ان واحدة من أكبر تلك المراكز تنتهي إلى مجموعة قد انتهت قبل الثورة بخمس سنوات، ويكتب المراقب بسخرية ملفتة أن المجموعة لم تكن على علم بهذه الأحداث، ذلك لأنّها انتهت، فالأفضل أن تطير روحها مثل الأرواح الأخرى بعيداً وتبتعد عن حرائق الأرض -في إشارة إلى نار الثورة المصرية- وعلى غرار عبد الرحمن الرافعي تثير الانتباه إلى التخب المخلية كي لا يدعو الناس بأنّهم غوغائيين وليعلم أن مصر جزءاً من إفريقيا وليس أوروبا -وطالما أنّها في قلب الظلام، فيبني توقيع أي شيء (المصدر نفسه: ١٧٢).

في الواقع، في القسم أعلاه، فإن المراقب الذي يشير إلى خطاب استعماري -تشبيه إفريقيا بقلب الظلام وتوقع ظهور أي مأساة من قلبه- يسخر من رافعي، الذي كتب ضد الحركات الثورية الأصلية وأغراه الطرس الاستعماري، وأيضاً باستخدام تركيب "قلب الظلام" يشير إلى عمل يحمل نفس الاسم^٨ لجوزيف كنراد، وهو أحد أبرز أعمال الخطاب الاستعماري والناهض لشعوب إفريقيا، والذي حاول أدب ما بعد الاستعمار باستمرار القضاء على التأثير المدمر مثل هذه الأفعال.

٤ . ٣. الطرس الإعلامي

بعد الإعلام من أقوى أذرع أي نظام فكري. يستخدم الاستعمار قدرة جميع وسائل الإعلام للسيطرة على المستعمرات وتبرير أهدافه وحتى إظهارها كونه ماثلة لمصالح السكان الأصليين. وفي هذا الصدد، يقوم المراقب بالكتابة عن اثنين من قادة الكيان الصهيوني -شارون والوزير في حكومته- شاهدتها على شاشة التلفزيون وعلى الحائط من خلفهما صورة لرجلين آخرين، وهما دافيد بن غوريون و هيرتزل ويكتب أنّهم حلفوا آلاف القتلى ثم يتعدد لماذا يكتب عنهم، فلماذا لا يكتب عن بوش الأب وبوش الابن والآخرين (المصدر نفسه: ١٨٢) ثم يغضب لأنّه مهما حاول أن يكتب مثل أديب ما، ولا يستسلم للغضب لا تؤثر العواطف على كتاباته (المصدر نفسه) لا ينجح ويصرخ بأنه ليس أديباً ولا يزيد كتابة عمل أدبي، فهو يزيد فقط أن يكتب عن الرجال السمينين -من تشرشل إلى شارون وزويه- الذين يشقق وزخم على صدر المراقب





وفي الحقيقة هو يكتب عن كل هذا النظام الاستعماري والمميت الذي يهاجم حتى الأطفال ويقود الناس إلى فوهة الموت بأسوأ طريقة ممكنة (المصدر نفسه: ١٨٣).

انه يكتب عما شاهده من جرائم في التلفاز: «بأم عيني رأيت في التليفزيون قبل أيام صور الأطفال في مستشفى البصرة: الشعر المتساقط، البطون المفتوحة، آثار اليورانيوم المضيّ في أج丹 صغار ولدوا بعد الحرب بسنوات. وبعيني رأيت الجثث المتفحمة والأشلاء في جنين» (المصدر نفسه). ويضيف: ان أكبر الأدباء والرسامين في التاريخ الذين رسموا الجحيم أو وصفوه مثل المعري أو دانتي أو بيكاسو لا قدرة لهم في خلق مثل هذا الجحيم في أعمالهم: لا دانتي ولا أبو العلاء ولا بيكاسو يقدرون على تصوير هذا الجحيم. مجرة بيكاسو مجرة منمنمة، بحجم القرية الصغيرة التي قصفتها الطائرات، صورها ابن مالقة المارق على لوحة بعرض جدار، أحتاج جدراناً كثيرة، جمّهرة من المصورين، هذا جحيم...» (المصدر نفسه). في الحقيقة فان الرواذي الذي كان قد أشار فيما سبق إلى الأنشطة الإعلامية مثل صحيفة فانيني فير أو الدعاية واسعة النطاق لليهود قبل الحرب الكونية الأولى، الآن يحاول بهذه الصور والمعلومات ان يظهر للمخاطب الجرائم المدفونة تحتها، وإخراجها من تحت أنقاض السلطة الإعلامية والدعائية للاستعمار.

ثم ينام ويري في المنام مسرحية حول قصة معروفة لصراع بين امرأتين تدعى كل منهما بأحهما والدة الطفل، فتندهان عند المحاكم ليحكم بينهما، لكن المسرحية التي يراها المراقب في المنام تختلف عن القصة، ذلك ان عدد الأمهات اللواتي يطرحن نفس الادعاء يزداد وان الأم لم تتنازل حفاظاً على صحة الطفل، وان الطفل يتقطع إلى أشلاء وكل امرأة تركض لكل صوب وحدب في مشهد العرض للحصول على قطعة منه (المصدر نفسه: ١٨٣-١٨٤). في الحقيقة، ان المراقب يرسم الجحيم الذي يراه في التلفاز والجحيم الذي في داخله لا يتركه حتى في المنام، وهو يربزه أكثر دموية من الجحيم الذي قام كتاب شهيرين أو فنانون برسم ملامحه، وكابوسه هذا يشبه قصة رمزية كأن الطفل هو مصر أو فلسطين، والأمهات اللواتي يدعون ملكيته ويطهرون الشفقة عليه، هن دول الاستعمار التي تدعى دعم السلام وحقوق الإنسان.

على هذا فان المراقب وفضلاً عن الدرامية التامة بتاريخ الطرس الإعلامي للاستعمار الذي يمتد لقرون، يدخل بخطابه عبر بث الوعي وفضح مشاريعه الخفية، وان نتائج الاستعمار المالي والثقافي والإعلامي في مصر وفلسطين تظهر بأنه كيف يتنهى على حساب السكان المحليين وكذلك ظهور السلوكيات غير الإنسانية.

المواضيع:

1. Homi Bhabha
2. Chinua Achebe

٣. عاشر في هذا الكتاب خصصت أجزاء منه إلى أهم مفكرين الدراسات ما بعد الاستعمارية مثل فرانتز فانون وادوارد سعيد وتحدث بإسهاب عنهم. (عاشر، ٢٠١٩: ٤٧-٣٢٦ و ٢٣٦).





٤. تطرق عاشر في هذا الكتاب إلى أدب كتاب غرب إفريقيا وترى بأن أعمالهم ناجمة عن ثراء تاريخهم وثقافتهم، ليس لأنها ظهرت كنتيجة لنضالاتهم السياسية فقط، وبطريقة ما، فإنها تجادل مع الخطاب النقدي للغرب الذي يقمع الأدب الأفريقي. (عاشر، ٢٠١٦: ٣-١).

٥. إن *Comprador* مفردة برتغالية تعني "المشتري". تم استخدام هذه المفردة بشكل أساسى للإشارة إلى تاجر محلى كان يعمل ك وسيط بين المنتجين الأجانب والسوق المحلية. (اشكرافت وآخرون، ١٤٠١: ٨٠).

٦. انه في عام ١٨٩٥ زار فلسطين وقام بشراء الكثير من الأراضي لبناء المستوطنات وإقامة اليهود المهاجرين من كافة أنحاء العالم.

7. Daniel Defoe

٨. يمكن رؤية التمثيل الأدبي لإيديولوجيتها الإمبريالية في أعماله انه يرى *heart of darkness* Joseph Conrad موجذاً مخفياً في قلب الاستعمار البريطاني، والذي يختلف عن مجرد نصب أشكال أدنى من الإمبريالية [غير البريطانية]. هذا وكانت معاملة البريطانيين مع الهنود الحمر في فرجينيا ماثلة لمعاملة بقية المستعمرين من حيث مستوى الوحشية. (Ashcroft & others, ٢٠٠٧: ٤٣).

٥. النتيجة

قد فتحت دراسة هذه الرواية باستخدام الطرس في دراسات ما بعد الاستعمار فضاءات جديدة في تحليل الرواية التي تمت دراستها وتم الخروج بنتائج، منها:

١. في هذه الرواية يتكون الطرس من ثلاثة أجزاء وهي الاقتصاد والأدب والإعلام، ويظهر كيف استطاع المستعمر في القرون الأخيرة أن يضع أعماله على أعمال السكان الأصليين السابقة، ويزّ ما قام بإنجازه كونه الحقيقة الحضرة، ويحول بهذا انتاجات السكان الأصليين في هذه الحالات كاملاً، حاولت الرواية ومن خلال البحث عن جذور كيفية تكوين تلك الحالات من الطرس ان تظهر نتائجها المدمرة والمميتة للمخاطب.

٢. ان الاستعمار وبالاستفادة من السلطة الاقتصادية وفضلاً عن استغلال الأرضي المحتلة، يسير حتى تغيير خارطة المنطقة، ويؤدي بالسكان الأصليين الى فقدان أرواحهم فضلاً عن ثرواتهم وأراضيهم، إذ حاولت الرواية إظهار هذه القضايا في روايتها، والبحث عن مسار هذه القضايا تاريخياً حتى الوصول إلى الحالة المزرية عبر البحث عن الطبقات الدنيا للطرس الاقتصادي والبني التحتية.

٣. ان الاستعمار ومن خلال استغلال سلطته ونفوذ النصوص الأدبية سواء خالق هذه الأعمال كان ينوي التعاون مع الاستعمار بوعي أو عن غير قصد، أم لا؛ فإنه يقوم بنشر أفكار الاستعمار وقيمته، وبهذا يتمكن من الدخول في فكرة وهوية ضحاياه بشكل لا إرادي، ويسهل تحقيق أهدافه، ان الرواية تحاول إظهار استخدام الاستعمار من الأدب



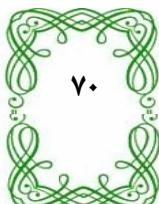


وتوظيفه في اتجاه متناقض أو شكل من المعارض لخطابه.

٤. ان المستعمر وباستخدام الطرس الإعلامي يتحقق أهدافه ولا يسمح بنشر حقائق حول جرائمه؛ إذ تحاول الرواية الكشف عنها والاستفادة من وسائلها الإعلامية وهي الإمكانيات الكبيرة للرواية ومن خلال فضح الأهداف المدمرة لوسائل إعلام المستعمر تشرح المعلومات التي تتضمنها وسائل الإعلام هذه كغطاء على مستوى المجتمع المستعمر، وتنشر معاناة وموت السكان الأصليين.

المصادر والنتائج

- اشکرافت، بیل و دیگران، (۱۳۹۲)، امپراتوری و امی نویسلد، ترجمه حاجیعلی سپهوند، تهران: نارنجستان کتاب.
- اشکرافت، بیل و دیگران، (۱۴۰۰)، مطالعات پسااستعماری (منتخب مقالات)، ترجمه: جمعی از مترجمان، چاپ سوم، تهران: مؤسسه مطالعات فرهنگی و اجتماعی.
- اشکرافت، بیل و دیگران، (۱۴۰۱)، فرهنگ اصطلاحات پسا-استعماری، ترجمه: حاجیعلی سپهوند، چاپ دوم، تهران: آریاتبار.
- بشیریه، حسین، (۱۳۷۹)، نظریه‌های فرهنگ در قرن بیستم، تهران: مؤسسه فرهنگی آینده پویان.
- تیموسکو، ماریا، (۲۰۱۰)، الترجمة في سياق ما بعد كولونيالي، ترجمة: خليل كلفت، فاہرہ: المکت اقصیمی للترجمة.
- حفناوي، بعلی، (۲۰۱۵)، البنوراما النقد النسوی في خطابات الناقدات المصريات، مصر.
- عاشور، رضوی، (۱۹۸۳)، الرحله، بیروت: دار الآداب.
- عاشور، رضوی، (۲۰۰۳)، قطعة من أوروبا، مصر: دارالشروع.
- عاشور، رضوی، (۲۰۱۵)، الصخرة، مصر: دارالشروع.
- عاشور، رضوی، (۲۰۱۶)، التابع ينهض، مصر: دارالشروع.
- عاشور، رضوی، (۲۰۱۹)، لكل المقهورين أجنحة، مصر: دارالشروع.
- عاشور، رضوی، (۱۳۸۶)، تجربه نویسنده من، ترجمه یاسین احمدی، سمرقند، شماره ۱۷. صص ۲۵۵-۲۶۱.
- عطية، أحمد عبدالحليم، (۲۰۱۸)، ما بعد الكولونيالية في ما بعد الحادثة، مصر: الاستغراب.
- مکلین، ایان، (۱۳۸۱)، فرهنگ علوم سیاسی آکسفورد، ترجمه حمید احمدی، تهران: میزان.





References

- Ashcroft, Bill & Gareth Griffiths & Helen Tiffin, (2007), *Post-colonial studies the key concepts*. London: Routledge.
- Ashcroft, Bill & Gareth Griffiths & Helen Tiffin, (2007), *Post-colonial studies the key concepts*. London: Routledge.
- Ashcroft, Bill & Pal Ahluwalia, (2001), *Edward Said*. London: Routledge.
- Ashcroft, Bill & Pal Ahluwalia, (2001), *Edward Said*. second edition, London: Routledge.
- Ashcroft, Bill and Others (1392), *The Empire writes back*. Translated by Hajiali Sepahvand, Tehran: Narenjestan.
- Ashcroft, Bill and Others (1400), *Postcolonial studies*. Translated by a group of translators. Tehran: Institute of Cultural and Social Studies.
- Ashcroft, Bill and Others (1401), *postcolonial studies the key concepts*. Translated by Hajiali Sepahvand, Tehran: Arayan tabaara .
- Ashcroft, Bill, (2001), *Post-Colonial Transformation*. London: Routledge, second edition.
- Ashcroft, Bill, (2001), *Post-Colonial Transformation*. Second Edition. London: Routledge.
- Ashcroft, Bill, (2001), *Writing postcolonialism on post-colonial futures transformations of colonial culture*. London: continuum.
- Ashcroft, Bill, (2001), *Writing postcolonialism on post-colonial futures transformations of colonial culture*, London: continuum.
- Ashour, Radwa, (1386), *My writing experience*. Translated by Yasamin Ahmadi, Samarghand, 17: 255-261.
- Ashour, Radwa, (1983) *The Trip*. Dar el-Aadaab.





- Ashour, Radwa, (2003), *A piece of Europe*, Egypt: Dar el-Shorouk.
- Ashour, Radwa, (2015), *The Scream*. Egypt: Dar el-Shorouk.
- Ashour, Radwa, (2016), *The subaltern gets up*. Egypt: Dar el-Shorouk.
- Ashour, Radwa, (2019), *All oppressed have wings*. Egypt: Dar el-Shorouk.
- Atiyah, Ahmad Abd Al-Halim, (2018), *Postcolonialism in postmodernism*. Egypt: el-Esteghraab.
- Bashiriye, Hossein, (1379), *Theories of culture in the 20th century*. Tehran: Ayandeh pouyan Cultural institution.
- Hafnavi, Ba'ali, (2015), *A panorama of feminist criticism in the discourses of Egyptian women critics*, Egypt.
- McLean, Lain, (1381), *Oxford concise dictionary of politics*. Tehran: Mizan.
- Nayar, Pramod k, (2015) *The postcolonial studies dictionary*. UK: Wiley Blackwell.
- Tymoczko, Maria, (2010), *Translation in a postcolonial context*. Translated by Khalil Kalfat. Cairo, Egypt: National Center for Translation.



مطالعات روایت‌شناسی عربی

شما پا چاپی: ۲۷۱۷-۰۱۷۹ شما پا الکترونیک: ۲۶۷۶-۷۷۴۰

بررسی پدیده پسا-استعماری "پالیمسست" در رمان «قطعه من أوروبا» اثر رضوی عاشور

میلاد درویشی^۱، زهره ناعمی^۲، سودابه مظفری^۳، صغیری فلاحتی^۴

چکیده

رویکرد پسا-استعماری، آثار ادبی مرتبط با پدیده استعمار را با مؤلفه‌های گوناگونی مورد توجه قرار می‌دهد که برخی از آن‌ها نزد جامعه دانشگاهی، بیشتر شناخته شده است، مانند: هژمونی، مرکز- حاشیه، صدای فروست و شرق‌شناسی. اما مؤلفه‌هایی که جریان پسا-استعمار را تشکیل می‌دهد، بسیار متنوع است؛ یکی از این مؤلفه‌ها، پالیمپسیست [Palimpsest] است که به معنای نوشتن روی نوشت‌های قبلی می‌باشد. نیروهای استعمارگر که فرهنگ، ادب و زبان خود را نیز وارد مستعمره می‌کنند، آن‌ها را روی فرهنگ پیشا-استعماری ملت بومی قرار می‌دهند ولی نمی‌توانند آن را کاملاً محو سازند و آثار فرهنگ پیشا-استعماری، زیر لایه‌های استعماری موجود است. فرهنگ پسا-استعماری کشورهای مستعمره، مانند پوستینی است که آثار بومیان پیشین را نیز علاوه بر نوشت‌های متاخر استعماری، در بر دارد. هدف آثار پسا-استعماری می‌تواند بر ملا کردن این لایه‌های زیرین که شناسنامه فرهنگی بومیان است، باشد؛ پژوهش حاضر می‌کوشد با روشنی تحلیلی- توصیفی و با استفاده از نظریه‌های اندیشمندان متاخر حوزه مطالعات پسا-استعماری چون بیل اشکرافت، لایه‌های زیرین فرهنگ محو شده بومی مصر را در رمان قطعه‌من اوروبا اثر رضوی عاشر یافته و با تکیه بر مؤلفه‌ای کمتر شناخته شده در مطالعات پسا-استعماری شرح دهد تا به برداشت‌ها و تحلیل‌های جدیدی از این رمان دست یابد. نتایج این پژوهش، ضمن ایجاد فضایی جدید در تحلیل‌های پسا-استعماری در مورد رمان مذکور، نشان می‌دهد که راوی داستان، با واکاوی پالیمپسیست اقتصادی، ادبی و رسانه‌ای گفتمان استعمار که لایه‌های بومی را از بین برده، می‌کوشد ضمن بر ملا ساختن اهداف استعماری آن، ارزش‌های بومی و اهداف حقیقی پنهان شده و رای آن را به مخاطبان نشان دهد و ایشان را نسبت به بر ساخت‌های طرح ریزی شده گفتمان استعمار بر حذر دارد.

کلیدواژه‌ها: نقد سیاست‌گذاری، بالمسیست، و ایشانسی، عربی، اضوی، عاشور، قطعه‌من، اور و تا.

۱. نویسنده مسئول: دانشآموخته مقطع دکتری زبان و ادبیات عربی، دانشگاه خوارزمی، تهران؛ *mld.darvishi@gmail.com*
 ۲. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه خوارزمی، تهران؛ *naemi.zohreh@khu.ac.ir*
 ۳. دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه خوارزمی، تهران؛ *mozaffari_arabic@yahoo.com*
 ۴. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه خوارزمی، تهران؛ *falahati@khu.ac.ir*



ناشر: دانشگاه خوازمه با همکاری انجمن ایرانی زبان و ادبیات عرب

حق مولف © نویسنده‌گان